الرسالة المشفية للامراض المشكلة

في المراقبا

رسالة طبيَّة خطيَّة

تأليف

أحد العلماء المتبحرين وأمجد الفضلاء المدققين
أوحد زمانه وجالينوس عصره وأوانه
الحكيم فيضي مصطفى افندي

عُنيَ بنشرها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

تصدير

لا يخفى عن الأذهان ، أنَّ الانسان وَلِعٌ بالحياة ، حريص على التذرّع بالوسائط والوسائل التي تضمن له العمر المديد ، فتراهُ يقظاً الى العلل والعوامل الهدَّامة التي من شأنها السطو على العافية خشية انتزاعها منه وسوقها اليه جيوش الامراض الفتَّاكة ، فيعدُّ العدة لمقاتلتها ومحاربتها ، اتقاء لاخطارها واهوالها ، ويهرع الى الطبيب يستصرخه لاعانته ومساعفته بخبرته وادويته في دفع اضرارها ، لئلا يستفحل امرها ويستطير شررها وتباغته بوبقاتها على حين غرَّة وتصرعه شر صرعة ، لذلك يستأمنه مستلماً اليه ، ومتوكلاً عليه ، باذلاً له ما وسعه من جَنى يديه ، وهو يحسب نفسه انه اصبح بمنجاة منها لتحصُّنه في أمنع المعاقل ، فلا تصيب منه سهام الآفات المقاتل .

وحبُّ البقاء نزعة او غريزة في المرء يقرغ في الحفاظ عليه كنانة جهده .

ولو استطاع الاستئثار بالحياة لبذل كل غالٍ ورخيص في هذا السبيل وأضحى بأمن من عوادي الزمن وطوارق المحن ، ما خلا فئة من المتزهدين والمتنسكين قد كلفت بجمال الخالق ، فصدفت عن جمال الحياة ومحاسنها ، وازدرت جسام الامراض والافات ، ورغبت في الانعتاق من سجنها، توصلاً الى نيل بغية قلبها.

ومهما قطع المرء من اشواط العمر، لا يزال عالق القلب بأسباب الحياة شغفاً بحبها ، متمسكاً بأذيال الطبيب ، لئلا تقطع عليه المنون لذة الاستمتاع بمباهجها ومفاتنها التي لا تشبع نهمه، وهي سنة الله في خلقه من قبل ومن بعد.

ومن البديهي ان الامراض والآفات تتأثر خطى المرء من المهد الى اللحد ، وكثيراً ما تروعه بدلائلها واعراضها التي هي مقدمة لنتيجة مفاجأتها له بحيلها ورجلها ، فتشتد عليه الكرب وتحاوره الغصص ويقيمه الذعر ويقعده ، وليس له من رجاء بالتغلب عليها الا بواسطة الطبيب ، لذلك راح الموسرون ينشدون ويفتشون عن مهرة الاطباء لتلاذ بكنفهم لوقايتهم من ضربات هذا العدو المردية.

وللامراض في كل حين وحال ، قصف وعزيف ، ورعد ودوي ، وللاطباء في كل زمن، كر وفر ، واقدام واحجام، وفشل وامل، وانتصار وانكسار، لا يخنعون للآفات ، ولا يستكينون للملمات ، ولا يألون من البحث والاستقراء احرازاً للظفر عليها . ومن الاطباء من تألقت شهرتهم وتحدث الناس بجهتهم وزحفت اليهم مئات المرضى من جميع الاصقاع ، على اختلاف النحل والمذاهب يستعيذون بهم حالما تنتابهم الآلام وتنزل بساحتهم الاسقام .

وقد يبرع واحد في فن من فنون الطب يقصر عنه فيه الاخر ، ويكون هذا البارع مختصاً منفرداً بمداواة هذا المرض دون سواه ، لاكبابه على دراسته وطول تمرنه على طرق معالجته ، ويتردد ذكر براعته ومهارته على السن الذين الذين نالوا الشفاء بطبه، فتطير شهرته ويتألب حوله اصحاب الآفات والامراض يرقبون البسمة على وجهه وكلمة الطمأنة من فمه .

ومن العلل التي تفشت وانتشرت انتشاراً واسعاً ، علة « المراقيا » وكان من قرائنها عدد ليس بقليل ، وقد حار بأمرها الاطباء ووقفوا بازاء معضلاتها

مكتوبي الايدي ، مما اهاب بأحد اطباء القرن التاسع عشر في القسطنطينية ، الحكيم البارع ، اللوذعيّ اللامع ، « احد العلماء المتبحرين ، وامجد الفضلاء المدققين ، اوحد زمانه ، وجالينوس عصره واوانه[1] » ، الحكيم فيضي مصطفى افندي ، الى التعمق في درس هذه العلة واختبار العلاجات الناجعة فيها ، وما يتطلبه سقيمها من توقية وتغذية ، مما حمله على ان يضع رسالة في علة المراقيا كافية شافية وجامعة مانعة . وقد فحص ومحّص اراء اطباء الشرق والغرب في مداواة هذه العلة ، فكشف الرغوة عن الصريح ، وحل عقدها وفكّ شكالاتها وبسط اسبابها وأعراضها مبيناً العلاجات الملائمة لها . وهو نفسه قد ابتلي بها ، على ما ذكره في مطاوي رسالته هذه ، فأتت مطوماته فيها مبنية على اسّ الحقيقة والاختبار ، وما يُنبئك مثل خبير . وقد سمّى رسالته : « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » . وفي هذا العنوان دليل واضح على ان المراقيا من العلل المستعصية الشفاء ، الجديرة بالتبصُّر والتفكير والاهتمام والاستقصاء .

وقد رجع اليوم اطباء الفرنج الى التفتيش عن كتب الطب العربية الخطيّة وابتياعها والعكوف على درسها والتنقيب فيها ، واللجوء اليها في مشاكل الامراض وصعابها . وربّ وصفة بسيطة في هذه الكتب ، أتت بفائدة عظيمة كما صدق بالامتحان ، وفيه يكرم المرء أو يهان .

*

قد رأينا نسخة من « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » عند حضرة الوجيه الاديب فيليب الخوري بطرس يزبك (حدث ، بيروت) نقلها عن كتاب طبي خطي منسوخ في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٥٠ هجرية (سنة ١٨٣٤ مسيحية) غير مثبت فيه اسم كاتبه ولا اسم مؤلف هذه الرسالة . طالعناها فوجدناها مختصرة جداً .

وقيّض الله لنا العثور عليها كاملة ، في كتاب طبّ خطيّ يسمّى « كتاب الاقتضاب »[2] عند حضرة صديقنا الفاضل العالم ، الخوري ميخائيل عقل اللبكي

١) كذا نعته اترابه وعلماء عصره

٢) منه نسختان خطيتان ، في مكتبة دير الشير العامرة ، للرهبان الحليين اللبكيين ، في مكين — شرق الغرب

في بعبدات ، فاذا بزلف هذه الرسالة يثبت اسمه في مستهل مقدمتها ، فانتسخناها عن هذا الكتاب بحرفها الواحد، وصححنا اغلاطها النحوية ولم نتعرّض لعبارتها .

اما كتاب « الاقتضاب » فهو لابي نصر سعيد بن ابي الخير المسيحي ، وهو مختصر الفصول ، موضوع على طريقة السؤال والجواب . يقع في ١٢٤ صفحة ، مكتوب بالخط العربي ، على ورق عبادي ، وبالحبر الاسود ، قد امتدّت يدٌ عمدًا فمحت اسم ناسخه على قفا اول صفحة منه ، وتكرّمت فأبقت تاريخ انجاز نسخه ، في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ . طوله ١٥ سنتيمترًا ونصف ، بعرض ١٠ سنتيمترات ونصف . مجلد بجلد اسود منقوش ، وقد عُلّقت بعض وصفات طبية في اوله ، في ثماني صفحات ، ومثلها في اخره في ثلاث صفحات ، سيأتي ذكرها .

ولا بأس من ايراد كلمة ايضاح عن هذا الكتاب ومشتملاته .

جاء في اوله بعد ذكر فهرس مواده :

بسم الله الحي السرمدي الدائم النهاية

« نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه ، بنسخ كتاب الاقتضاب ، المجموع على طريقة المسئلة والجواب، تصنيف السيد الاجلّ ، الشيخ الرئيس الاوحد العالم ، الفيلسوف الكامل، الاركدياقي الفاضل ، اوحد زمانه ، وفريد عصره واوانه ، ابي النصر ، سعيد ابن ابي الخير المسيحي ، ابن عيسى المتطبب . رحمه الله تعالى امين . »

واليك فهرس فصوله :

في حدّ الطب واجزائه . في الامور الطبيعيّة . في الاركان . في المزاج واصنافه . في الاخلاط وعددها . في صفة الدم وطبيعته . في طبع البلغم واصنافه . في طبع المُرّة الصفراء واصنافها . في قوة المُرّة السوداء واصنافها . في الاعضاء واقسامها . في اصناف الاعضاء نظرًا الى قواها . في الاعضاء الرئيسة . في الاعضاء المرؤوسة بخدمته . في الاعضاء المرؤوسة بلا خدمة . في الاعضاء التي لا رئيسة ولا مرؤوسة . في اصناف الاعضاء نظرًا الى جواهرها . في الاعضاء المفردة . في الاعضاء المركّبة . في جملة عظام البدن . في الغضاريف . في الاعصاب وعددها ومنبتها . في الرباطات . في الاوتار . في الاغشية . في فعل العضل وعددها . في الاوردة . في الشرايين ومنبتها . في صفة الدماغ . في صفة العين واجزائها . في صفة الاذن . في صفة الانف . في الفم واللسان . في ما يعنى بالحلق . في قصبة الرئة والحنجرة . في الاعضاء الممدودة من الحلق . في الصدر والرئة . في القلب . في آلة الغذاء . في المري والمعدة . في الامعاء . في الكبد . في المرارة . في الطحال . في الكليتين . في

المثانة . في آلات التناسل . في الاثيين في القضيب . في الرحم . في الثدي . في اجناس القوى الطبيعية . في القوى الحيوانية . في القوى النفسانية . في الاصناف . في الروح واصنافها . في احوال البدن وكل واحد منها . في اجناس الامراض . في امراض سوء المزاج المتشابهة الاجزاء . في اجناس امراض التركيب . في امراض المخلقة . في امراض المقدار . في امراض العدد . في امراض الوضع . في امراض الاتصال . في اوقات الامراض والوقوف عليها . في اجناس الاسباب . في احساس النظر . في سنفة الهواء . في فصول السنة . في تغير الهواء بسبب الكواكب . . . الخ الخ

وفي آخر كتاب الانتخاب هذا ، تفسير اسماء بعض ادوية واعشاب ، بالعربية كثيراً ما يرد ذكرها في كتب الطب الخطية ، ثم تأتي « الرسالة المشفية للامراض المشكلة في المراقيا » وهي في ٣٤ صفحة .

ولما تصفحناها رأيناها ذات فوائد جزيلة ومنافع عميمة ، لم يسبق مؤلفها احد من اطباء العرب والعجم الى الاستقصاء والاستقراء والتدقيق في حسر النقاب عن هذه العلة بمثل هذا التوسع والتبسط ، فعزمت رسالة فريدة في بابها ، جديرة باعتبار طلّابها ، احببنا ان نزفها الى قراء مجلة « المشرق » الاغراء ، آملين ان يمعن النظر في مضامينها اطباؤنا الالبّاء ، لانها تلقي نوراً ساطعاً على آفاق رحبة ، في اسباب علة المراقيا وكيفية تدبير مداواتها . وليس لنا من غرض من وراء نشرها سوى مجد الله الاعظم وتقريب فوائدها من الافهام والسلام.

جبيل — لبنان - دير سيدة المرتات
في ٢٧ شباط سنة ١٩٥٢

الاب انطونيوس شبلي
اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

أما بعد فيقول احد العلماء المتبحرين واعجد الفضلاء المدققين (الوحد) زمانه وجالينوس عصره وأوانه ، فيضي مصطفى افندي ، ان الباعث لتأليف هذه الرسالة الصحيحة النصاب ، والنسخة الحكمية الانتساب ، هو ان علة المراقيا غير السوداوية والمراقيا السوداوية قد كثر وقوعها في الناس الصغار والكبار. وغالب الناس ابتلت بها وقد غفلت اطباء العرب والعجم الفرق والتمييز ما بين هذين المرضين في كتبها ، اي المراقيا غير السوداوية والمراقيا السوداوية ولم يذكروا اسبابهما وعلاماتهما واعراضهما وعلاجاتهما كما ينبغي. ولكونهم ذكروا ما ذكروه في باب هذه العلة متفرقاً فيعسر الوقوف عليه من مؤلفاتهم في حين الاحتياج اليه . فباشرت انا الفقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، تأليف هذه الرسالة بعد الوقوف على ما وُجد عندي من تأليفات المتقدمين ورسائلهم ونسخ تأليفات اطباء اللاتينيين الفضلاء الذين كتبوا في هذا الفن ، بعد ما سبق لي من المطالعة والمذاكرة مع فضلائهم ومباشرتنا علاج هذين المرضين المذكورين بالتجربات الصحيحة والتدابير الصائبة وبحسب القدرة والامكان جمعت هذه الرسالة وألفتها وسميتها « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » ورتبتها على تسعة فصول :

الفصل الاول : في بيان تسمية هذه العلة بالمراقيا وكيفية حدوث مادتها
الفصل الثاني : في بيان الاسباب التي تتولد منها علة المراقيا
الفصل الثالث : في بيان علامات الاعضاء المأوفة في علة المراقيا
الفصل الرابع : في بيان اسباب علة المراقيا
الفصل الخامس : في بيان علامات علة المراقيا
الفصل السادس : في بيان تقدمة المعرفة في علة المراقيا
الفصل السابع : في بيان تدبير مرض المراقيا اجمالاً
الفصل الثامن : في بيان علاج المراقيا السوداوية على وجه التفصيل
الفصل التاسع : في بيان تسكين اعراض المراقيا

﴿ الفصل الاول ﴾

في بيان سبب تسمية هذه العلة بالمراقيا

وهو انه في بطن الانسان اللحوم الغددية تحت الحجاب الذي يقال له مراق من الاعضاء الباطنة حيث يعتريها سوء المزاج الحادّ فتأوف ، ولاجل ذلك سمّوها مراقيا تسمية للحال باسم المحل . والاعضاء الكائنة تحت الحجاب هي اربعة :

الاول : عروق الماساريقا .

الثاني : الكبد .

الثالث : الطحال .

الرابع : اللحوم الغددية التي هي في عروق الماساريقا .

لأن في هذه الاعضاء يوجد ريح كثير ، فلاجل ذلك يسمّونها : العلة الريحية ايضاً . إلا ان الحكماء المتقدمين من علماء العرب واطباء اليونان لم يفرّقوا بين علة المراقيا السوداوية من غير السوداوية ، انما يقولون العلة المراقيا ، مراقيا سوداوية. غير ان حكماء اللاتينيّين المتأخرين فرّقوا بينهما وميّزوهما والذين ابتلوا بعلة المراقيا يكون اكثرهم لم تُبَنْ فيهم علائم السوداء ، اثبتوا ذلك من هذا الوجه ، انما قالوا : بان علة المراقيا السوداوية قريبة للمراقيا .

الحاصل : ان اطباء اللاتينيين المتأخرين إدّعوا بان علة المراقيا في مرور الايام تتبدل بالمراقيا السوداوية واثبتوا ذلك من ثلاثة وجوه :

الاول : ان الاخلاط المجتمعة في الاعضاء الباطنة تحترق من افراط حرارة الكبد فتستحيل الى السوداء .

الثاني : انه يعرض للطحال ضعف فلا يمكن جذب عكر الدم عن العروق والكبد وتميزه عنهما فيبقى ذلك العكر في الاعضاء الباطنة فيحترق فتحصل السوداء .

الثالث : ان القوة الدافعة التي في الطحال تضعف فاذا جُذبت فلا تقدر على الدفع فيجتمع العكر فيصير ذلك سبباً لحصول السوداء . فقالوا على هذا المنوال المشروح : ان علة المراقيا تنتقل الى علة المراقيا السوداوية . وعلامات السوداء تظهر واضحة بالتدريج .

﴿ الفصل الثاني ﴾

في بيان الاسباب التي تتولد منها علة المراقبا

اعلم ان بدن الانسان اذا كان دائماً في التحلل فمن لازمه ان يغتذي ليخلف بدلاً عما يتحلل . فاذا كان الامر اذاً على هذه الكيفية لم يوجد غذاء ما لم يكن له فضلة ، لكنَّ الاغذية اذا ما ناسبتها بعضها ببعض فتجد ان بعضها فضلة كثيرة وبعضها قليلة ، فمن ثمَّ ما قد تهضمه الطبيعة فتقبل منه ما كان صالحاً للغذاء ، وما كان فضلة ترده وتدفعه الى الخارج . مثلاً : ان الهضم الاول يكون في المعدة فالذي يكون صالحاً من الاطعمة للغذاء يكون كيلوسه[1] جزئياً ، والذي لم يكن صالحاً فيصير فضلة ويسري الى الامعاء ، ولكن كيلوسه ينفصل عن الفضلات وبعد تنظيفه فان الطبيعة توصل ذاك الكيلوس في عروق الماساريقا الى الكبد اولاً حيث يكون في عروق الماساريقا فيقع فيه الهضم قليلاً ، اذ ان الكيلوس عندما ينفذ الى الكبد يستعد لان يصير دماً .

والكيلوس عندما يكون في عروق الماساريقا فالطحال يجذب اليه من ذلك الكيلوس ما كان غليظاً فيطبخه فيحصل منه دم غليظ . وذاك الدم الغليظ يصير غذاء للاعضاء الكائنة في جوار الطحال . ولكن هذا الدم الغليظ ما كان من الفضلات الغليظة جداً تميزه الطبيعة وتدفعه في الطرق المناسبة لدفعه .

اما الكيلوس الرقيق الذي يبقى في عروق الماساريقا فيجذبه الكبد اليه ويطبخه وفيه يحصل الدم وسائر الاخلاط التي تصلح للاعضاء . والطبيعة منه تقسم غذاء جميع الاعضاء ، وفي هذا الطبخ الفضلات الحاصلة في الكبد بعضها يذهب الى المرارة وبعضها الى الكلى .

وحاصل الكلام ما ذكرناه حسب قول المتأخرين ، لان المتقدمين قالوا : ان الهضم الاول في المعدة والهضم الثاني في الكبد . وذهبوا الى ان الطحال يجذب اليه الدم الغليظ من الكبد ، ولكن المتأخرين بعد اثباتهم الهضم القليل من عروق الماساريقا ، ذهبوا الى ان الطحال يجذب

---

١) الكيلوس : هو المخلط ، أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه . معرَّب خيموس باليونانية .

الكيلوس الغليظ . غير ان المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على ان الطحال كان لاجل تنظيف غاظ الدم وعكره ، ولاجل ارسال الغذاء الى الاعضاء التي من شأنها ان تتغذى بمثل هذا الدم السوداوي الذي يجذبه من الكبد . اما على ما ذكرناه ان كانت الاعضاء الباطنة هضمها على ما ينبغي وكل منها يدفع فضلته كما ينبغي ، يكون حينئذ البدن على صحته . واما ان كانت لا تقدر على دفع هذه الفضلة لضعف القوة الهاضمة او الدافعة فيصير سبباً لامراض مختلفة .

قال قيريلوس الحكيم في المقالة السابعة من كتابه الذي « في العلل والامراض » هكذا : ان كان قصورٌ في القوة الهاضمة وضعف في الدافعة ، فان الطبيعة لا تقدر على دفع الفضلات كما ينبغي . ومن ذلك يتولد ثمانية امراض : الاول الهيضة . الثاني الماليخوليا . الثالث علل المراقيا . الرابع المراقيا السوداوية . الخامس الاسهال . السادس اسهال الدم . السابع سوء القنية . الثامن الذبول . فان كانت الفضلات المجتمعة في الاعضاء الباطنة متعفنة فتكون سبباً لحصول الحميات النايبة . انتهى .

اما سبرطوس فقال هكذا : ان من اجتماع هذه الفضلات في الاعضاء تحصل الامراض المذكورة آنفاً ، ولكن احياناً اذا غلبت الطبيعة فيعرض القيء والاسهال للطبيل فيحصل الخلاص كما شاهدناه دفعات متعددة .

وجالينوس الحكيم ، قال في المقالة السابعة من كتابه المعروف « بالاعضاء الآلة » هكذا : ان سبب تسمية هذه العلة بالمراقيا هو من هذا الوجه حيث اوضح بان الاعضاء الباطنة اذا اعتراها سوء المزاج الحار بسبب حرارتها احياناً يكون الطعام قليل الهضم فيجذبه الكبد من المعدة اليه ، ولكون الكبد مفرط الحرارة فيحصل من ذلك الغذاء دم غليظ ومحترق ، وبسبب غلظ هذا الدم واحتراقه تحصل السدة في الكبد والمجاري . فاذا كان الامر هكذا ، اي لان السدة تضيق المجاري فالكيلوس لا يعود ينفذ من المعدة ، ويبقى زماناً فيها فيفسد ويصير سبباً لظهور علة المراقيا . واحياناً لطول مكث الكيلوس الفاسد في المعدة ، والمعدة حينئذ ضعيفة ، يُنشئ فيها ريحاً كثيرة فيعرض وجع المعدة . فان كانت الطبيعة تغلب فيندفع الوجع بالقيء وباللين .

وقال جالينوس ايضاً : ان فم المعدة الاسفل متصل في الامعاء وهو في

ذلك الحين يلتهب فلا يسري الغذاء من ذلك الطرف الى الماساريقا كما ينبغي فيبقى في المعدة . ولزيادة مكثه فيها يتفسد ولكون المعدة تضعف ايضاً فيحصل ريح ويصير سبباً لظهور علة المراقيا . انتهى .

نتيجة الكلام : ان الاعضاء التي تجتمع فيها الاخلاط الفاسدة في هذه العلة هي ثمانية : الاول نفس المعدة . الثاني فم المعدة الاسفل . الثالث نفس الكبد . الرابع البواب وهي العروق الكبيرة التي في الكبد . الخامس الأعضاء القريبة من الكبد . السادس نفس الطحال وعروقهُ . السابع عروق الماساريقا . الثامن اللحوم الغدديَّة التي هي في عروق الماساريقا . وعلى التحقيق ان خلقة اللحوم الغدديَّة هي مثل الاسفنج فانها تشرب الأخلاط الفاسدة ويكبر حجمها . فعلى هذه الحالة تُسدُّ مجاري الماساريقا بالضغط وتورث السدَّة وتصير سبباً لظهور المرض المذكور . فان كانت الأخلاط الفاسدة تجتمع في اللحوم الغدديَّة لا يُحسُّ بها في اللمس واذا لم يُحسَّ بها في اللمس لا يقتضي من ذلك انها لم تكن علَّة المراقيا .

إعلم ان الأخلاط الفاسدة المجتمعة في هذه الأعضاء قد تصعد منها أبخرةٌ رديئة تارةً الى المعدة ، وتارةً الى القلب ، وتارةً اليهما معاً ، وتارةً الى الدماغ . فان كانت تصعد الى المعدة فتسدُّ ويحصل منها جشأٌ وتورث اللدغ والوجع . ولكون المعدة لها مشاركةٌ مع الدماغ ايضاً وبصعودها الى القلب ، يعرض للقلب وجعٌ وانقباض . وان كانت تصعد الى الشريان الكبير الذي في القلب فتورث الخفقان وعسر النَّفس ووجع الصدر . وان كان يعرض للمريض عَرَقٌ باردٌ فتسكن الأعراض الشديدة قليلاً ويستريح نوعاً ما ، لأنَّ الأبخرة الصاعدة الى القلب تتحلَّل بالعَرَق .

في الفصل الثالث

في بيان علامات الاعضاء المأوفة أي المألومة في علة المراقيا

ان كانت الآفة في نفس الطحال فتظهر في الطحال صلابة ونفخة ، وسَحْنة المريض تكون الى الكمودة . واذا كانت في الكبد فتظهر العلامات المذكورة

في موضع الذي فيه الكبد . وأما اذا كانت في المعدة والطحال معاً فيعرض تحت المعدة نفخ وتمدُّد ووجع بعد تناول الطعام في ستّ او سبع ساعات تمضي. وأما ان كانت في الكبد والطحال فلا يحسّ بشيء أصلاً . وان كانت الآفة في نفس المعدة في وقت الهضم يُعلم ذلك من الاعراض الظاهرة . وأما ان كانت في الرحم من احتباس الطمث وقلّته وعسره ، وان قبل مجيء النوبة بيوم او يومين ، فيحصل وجع الظهر والاربية وقراقر في الجوف ونحو ذلك .

وأما ان كانت في اختلاط سوء مزاج المعدة والكبد ، الكون في الكبد سوء مزاج حارّ ، فتصعد أبخرة حارّة من الكبد فتحسّ منها وجنتا العليل احياناً وتحسّ منها كفّاه وأسفل قدميه أيضاً وبولهُ يكون أحمر ، ويكون المريض مائلاً الى شرب الماء .

وان كانت العلّة حاصلة من برودة المعدة فيعلم ذلك من ضعف هاضمة المعدة ومن الجشإ الحامض الحاصل من البلغم الذي في المعدة .

الفصل الرابع

في بيان أسباب علّة المراقيا وهي سبعة

السبب الاوّل : من حيث ان في الكبد سوء مزاج حارّ فهو يجذب اليه الطعام من المعدة قبل الهضم وتنجذب اليه الحرارة الغريزيّة من المعدة ايضاً فتضعف القوّة الهاضمة التي فيها فتصير سبباً لتولّد بلغم غليظ لزج ورديء. وذاك البلغم الغليظ الحاصل في المعدة، عندما ينفذ البعض منه الى الكيلوس في عروق الماساريقا يسدّ المجاري بسبب لزوجته وغلظه. وفي نفوذه من عروق الماساريقا الى الكبد ، الكون الكيلوس لزجاً وغليظاً ، تضيق مجاري الكبد ايضاً . وعندما تضيق المجاري يقلّ ترويح الكبد فيصير سبباً لزيادة سوء المزاج البارد ويستدلّ على ذلك من الغذاء .

السبب الثاني: يعرض من تناول الأطعمة المضرّة خصوصاً الأغذية البطيئة الهضم والمولّدة البلغم الغليظ والصفراء والسوداء، مثل البقول المضرّة كالباذنجان واللفت . ومن الحبوب العدس . ومن اللحوم البقر والماعز والارنب والايّل. ومن الطيور لحم طيور الماء على الاطلاق . والقديد مثل السجق والبسطرمة

والبيض المقلي الشديد الاستواء . والاطعمة المصنوعة من العجين خصوصاً اذا كانت بالخلّ ، لكونها من العجين تولّد بلغماً غليظاً ، وبسبب حلاوتها تولّد الصفراء .

والحاصل ان جميع الاطعمة السكّريّة والعسليّة مضرّة لعلّة المراقيا .

السبب الثالث : الانفعالات النفسانيّة خصوصاً المقاربة مثل الهمّ والغم والخوف والرعب والغضب ، لأنّ هذه الحالات مع كونها تحلّل الارواح فتُضعف الحرارة الغريزية والقوّة الهاضمة .

السبب الرابع : ترك الحركة ، فان الذي يُكثر من الدعة (الراحة) ولا يمارس الحركة تجتمع في بدنه رطوبات فضليّة واخلاط .

السبب الخامس : الحركات العنيفة ، فان كانت الحركة معتدلة فانها تحلّل الفضول . وان كانت مفرطة بعدما تحلّل الفضول فانها تفني الاخلاط والرطوبات الاصليّة التي تصلح للغذاء فيحصل من ذلك سوء مزاج حارّ في الكبد وسائر الاعضاء . وان كانت بافراط فانها تُفني الرطوبة الاصلية وتصير سبباً لاطفاء الحرارة الغريزية .

السبب السادس : احتباس الأخلاط اللازم استفراغها مثلاً : من كان معتادًا ان يخرج منه دم البواسير فاذا حبس دمه فيصير سبباً لتجمّع الاخلاط الفاسدة والسوداويّة ، لأن الدم الذي يخرج من عروق البواسير فانه دم محترق فاسد ، ولكونه لم يصلح للغذاء ، فان الطبيعة تدفعه خارجاً لاجل تنقية الاعضاء الباطنة حتى ان الحكماء قالوا : من كان معتادًا ان يخرج منه دم البواسير فانه يأمن ظهور عشرة انواع من الامراض : ١ً الجنون ، ٢ً السوداء ، ٣ً الجرَب ٤ً البلغم ، ٥ً الصرع ، ٦ً ذات الجنب ، ٧ً ذات الرئة ، ٨ً السلّ ، ٩ً الجذام ، ١٠ً السرطان .

السبب السابع : احتباس الحيض في النساء ، لأن احتباس هذا الدم يوجب تجمّع الاخلاط الفاسدة ايضاً . وما ذكرناه من الاسباب المشروحة كلٌّ منها يصير سبباً لظهور علّة المراقيا . وفي مريض واحد لا يلزم ان تُوجد فيه كلها بجملتها كما سنوضحه ان شاء الله تعالى .

﴿ الفصل الخامس ﴾

في بيان علامات علّة المرافيا وهي واحد وعشرون علامة

العلامة الاولى : إعلمْ انَّ المعدة تأوف من سوء المزاج البارد فتضعف القوَّة الهاضمة فينشأ من ذلك اخلاط بلغميّة وريح وجشأ . فان كان سوء المزاج البارد مفرطاً تكون حامضة . وان كانت البرودة قليلة في المعدة فيعرض جشأ دخانيٌ ووجع المعدة احيانا ، والمريض لا يستريح مـا لم يتقيأ ، ويعرض له بصاق كثير احياناً . فالذين يبتلون بهذا المرض اكثرهم اذا تكون معدهم مأوفة مألومة ، وتعرض لهم اعراض رديئة متنوعة . فمن كان غير مُمرَّن في فن الطبّ وقليل الدراية في تمييز الاسباب والعلامات من الاطباء الجهلة يظنُّ انه مرض معديٌ فيُخطئ في التشخيص والتدبيرُ ويصير تدبيره سبباً لاشتداد المرض.

إعلم ان سبب آفة المعدة في هذا المرض هو ان المعدة تجتذب غذاءها من الدم الذي في شُعَب العروق الذي يقال له « البواب » لتغتذي به . وهذا الدم الذي يأتيها كونه من أصل فاسد وبمجرَّد غذائها به يسوء مزاجها لفساد غذائها فتضعف القوَّة الهاضمة لضعفها ايضاً ، فما يأتي المعدة من الطعام يفسد،والكيلوس الردي، الحاصل من مثل هذا الطعام قد تكرهه الطبيعة فتدفعه بالقيء .

والحاصل : ان اصحاب هذه العلّة اكثرهم لم يجـدوا في معدهم كيلوساً صالحاً ، انما يكون مائيًا أو أسود أو حامضاً ، ومن وجود هـذه الاخلاط يكون الجشأ . والاخلاط الفاسدة الحاصلة فيها غير صالحة للغذاء ، فعروق المساريقا وسائر الامعاء لم تجذبها اليها فتبقى في المعدة ، ولهذا السبب تكون الرطوبة كثيرة في فم المريض دائماً ويكون ذلك سبباً لسيلان اللعاب وكثرة البصاق . واذا كانت الاخلاط الفاسدة كثيرة في المعدة والقوَّة الهاضمة قويَّة ، فتدفعها بالقيء . وفي بعض المرضى حيث تكون حرارة معدته الغريزيَّة ضعيفة فيتولَّد فيها ريحٌ يمدّدها ولِمَا في أطرافها من الاعضاء. أي بتداخل جرْمها يحصل الوجع ، وفي بعضهم يقع انقباض الارواح ، وفي بعضهم الغشي .

وهذه الاعراض لها سببان: الاول لاجل مشاركة المعدة مع القلب فيعرض ذلك قبل ان يتألم القلب . الثاني هو ان قبل صعود الابخرة الرديئة والريح الى نفس القلب يعرض له احياناً خفقان .

واعلم ايضاً ان الاخلاط الفاسدة الرديئة المذكورة لا تتولّد في المعدة دائماً انما هي تتولّد احياناً في الطحال ايضاً ، فتكون سوداء حامضة تُضرسُ الاسنان وتنصبُ في المعدة فتتأذى منها وتدفعها بالقيء . وأحياناً هذه السوداء الحامضة تهيّج الجوع ، وأحياناً من افراط حرارة الكبد تتولّد صفراء كثيرة وتنصبُ الى المعدة فتدفعها صفراء محض او مع بلغم . ويقع غشيان وسقوط الشهوة اي انه لا يقبل الطعام لمرارة الفم .

واعلم ايضاً انه اذا لم يكن في المعدة كيلوس صالح فتتولّد من ذلك أخلاط فاسدة رديئة متنوّعة كما تقدم بيانه آنفاً . فتلك الاخلاط الفاسدة تصير سبباً لظهور الاعراض الرديئة في المعدة .

اما الطبيعة فتدفع الاخلاط الغليظة بالقيء ، والرقيقة بالعرق ، والرياح الغليظة بالجشإ فتسكن تلك الاعراض نوعاً ما . وقد تمادى كما هو منقول عن قايوسيون الحكيم بقوله : انه شاهد بنتاً في سنّ الثلاث عشرة سنة كانت مبتلية بعلّة المراقيا وكانت تتقيأ الاخلاط الغليظة اللزجة الحامضة فتمادت بها تلك العلة الى سنّ الاربعين سنة .

وسترطس الحكيم قال ايضاً : انني رأيت امرأة كانت منذ ثلاثين سنة تتقيأ بلغماً مالحاً وحامضاً يُضرس الاسنان ، وأما سائر الافعال الطبيعية فكانت فيها كما ينبغي .

فمن ثمّ علمنا ان الطعام الذي يتناوله العليل بعد الهضم الاول تميّز الطبيعة ما كان منه لطيفاً وتحيله كيلوساً جيّداً فيغتذي به البدن . وما كان غليظاً رديئاً كانت الطبيعة تدفعه بالقيء . ولو لم يكن هكذا لكان يقتضي ان لا يعيش المريض زمناً طويلاً لفقدان الغذاء .

والحكيمان المذكوران قالا : باننا شاهدنا بان المريض لمّا كان يتقيأ الطعام الذي كان يتناوله كانت تخرج منه الاخلاط الفاسدة وحدها ايضاً بلا طعام . فمن هنا علمنا ان بعض الطعام الذي تناوله ، فالجزء الذي يكون صالحاً منه للغذاء ، كانت الطبيعة تهضمه وتستحيله للغذاء . واما الوان الطعام كلّه فيستحيل الى الاخلاط الفاسدة لما كان يحتمل ان يكون صاحب هذه العلّة طويل العمر .

العلامة الثانية : إن الطبيعة في بعضهم تكون قبضاً (قابضة) وفي بعضهم لينة . والقبضُ له ثلاثة أسباب : الاول ان يكون في الكبد والطحال سوء مزاج حارّ تتغلب اليبوسة على البدن وتيبس الفضلات التي في الامعاء فيحصل القبض .

الثاني ان البلغم الغليظ اللزج الحاصل في المعدة يلزمه ان ينحدر الى الامعاء، ولكن بسبب غلاظته ولزوجته يبطىء نزوله في الامعاء. وفي انحداره بسبب تشبُّث غلاظته ولزوجته فيحصل القبض .

الثالث ان الصفراء التي تنقَط في الامعاء قطرة فقطرة لاجل غسل الامعاء فان البلغم الغليظ واللزج المتشبث عن جرم الامعاء يحول بين الصفراء المنصبَّة اليها وبين جرم الامعاء فلا يؤثر تلذيع الصفراء . فعلى هذه الحال يتأخر جرم الامعاء عن دفع الفضلات التي فيها فيعرض القبض .

واما سبب لين الطبيعة في اصحاب هذه العلّة ، فان منهم من يكون في كبده سوء مزاج حارّ زائد فتحصل من ذلك كثرة الصفراء وتكون القوّة الدافعة قويّة جداً فتدفع تلك الصفراء الى الامعاء فتصير سبباً لحدوث اللين.

العلامة الثالثة : ان تكون قراقر في الامعاء تبتدئ غالباً من الجانب الايسر ، وفي بعض الاوقات تسكن وحين يتحرّك الريح تظهر القراقر ايضاً. قال سقراطوس الحكيم : اننا سكّنا اعراض هذا المرض بتكرير الاستفراغات ولكن ما قدرنا على تسكين الريح بالكليّة فلذلك قد علمنا ان عدم تسكين الريح هو ان الدواء الذي أعطيناه للمريض لم يصل تأثيره الى المحلّ الذي فيه الريح .

واما سقراطوس الحكيم ، فذهب الى ان الريح لم يجد له منفذاً ليخرج منه لكون المحلّ للريح هو ما بين طبقتي عروق المساريقا . والسائل ان يسأل : ان كان هذا الامر هكذا كان يقتضي ان يكون فيه وجع . ومع هذا فان بعضهم في هذا المرض لا يكون ظاهرا فيه وجع البتّة .

الجواب : هو ان كيفيّة عدم وجود الوجع هو لكون وجود ذاك الريح لم يكن غليظاً بزيادة والحرارة الغريزية تكون قويّة فتخرج تركيب ذلك الريح من الطبقات فتكون القراقر .

واما ان كانت قوة المريض ضعيفة وكان الريح غليظاً فيحصل في جوف المريض وجع مثل وجع القولنج . ويعرض له احياناً وجع المعدة مع وجع الظهر ، واحياناً يعرض له وجع الصلب مع وجع الكُلى . وأكثر هذه الاعراض تُسكَّن بالقيء وبهضم الطعام .

اما جهلة الاطباء فيظنون انه مرض حصاة الكُلى . وقد رُوي عن سقرطوس الحكيم قال : انه في عصرنا وجدتُ رجلاً بعد تناوله الطعام في السابعة والرابعة والخامسة كان يعرض له وجع المعدة والصلب معاً ، وكانت تُرى قارورته حمراء غليظة وفي اسفلها رسوباً كالرمل ، وكانت اطباء ذلك العصر تعالجه معالجة حصاة الكُلى فلم يجد صحّة . اما انا فعالجته علاج المراقيا فصادف الشفاء ، الّا انه لم يكن عيناً ما ذهبتْ اليه أطباء عصرنا . قال : لأن الخلط الناشيء من ضعف المعدة ليس ببعيد ، انه عندما يذهب الى الكُلى فيتحجّر هناك خصوصاً اذا كانت الكبد حارّة ، ولمشاركتها الكبد تشتدّ حرارتها فيتحجّر الخلط الغليظ فيها ايضاً . لكنني انا الفقير ، وجدت الفرق بين الرمل الذي يأتي من الكُلى والذي يأتي من المراقيا كما سنوضح بيانه قريباً ان شاء الله .

العلامة الرابعة : يعرض للمريض كرب وحزن وانقباض القلب . وسبب ذلك من وجهين : الاول لان الابخرة الفاسدة المظلمة تصعد الى القلب فينقبض منها . الثاني الطعام الذي تناوله لكونه لا يُهضم في المعدة هضماً جيداً فيولّد ريحاً وبسبب تمديد ذلك الريح فيظهر ألم في المعدة حتى يوشك ان يغشي المريض .

العلامة الخامسة : الخفقان وسببه من وجهين : الاول هو فساد الابخرة الصاعدة الى القلب . الثاني من مشاركة المعدة للقلب . فالابخرة الرديئة الصاعدة من المعدة تؤثر في القلب تأثيراً شديداً فيتحرك لدفع البخار المؤذي عن حركة سريعة . ولشدّة الخفقان يضرب الشريان الذي في القلب ضرباً متواتراً حتى ييأس المريض من حياته .

العلامة السادسة : انه يكون في بعض المرضى ورم في الجانب الايسر في محلّ الطحال . وسببه اما ريح نافخة ، واما أخلاط فاسدة متجمعة هناك .

العلامة السابعة : هو ان يحدث في بعضهم سرعة لنبض الشريانين المكتنفين الحلقوم حتى تظهر لحسّ البصر لا سيما الجانب الايسر وخاصة اذا حدث للمريض

حركة عنيفة كالغضب وغيره . وسبب ذلك هو من زيادة حرارة الدم الذي في الشريان ، كما انه يحدث سرعة نبض شريان الاصداغ لمن يطيل الوقوف في الشمس او لمن يكثر من شرب الخمر .

العلامة الثامنة : هو ان يحسّ بعض المرضى بحرقة في مراق البطن . فتارة تكون في الجانب الواحد وتارة في الجانبين . وسببها اجتماع الاخلاط المحترقة من ذلك الجانب .

العلامة التاسعة : يكون أحياناً وجه المريض ووجنتاه في احمرار . وسبب ذلك من صعود بخار الاخلاط الحارّة .

العلامة العاشرة : ان اليبوسة تعرض في لسان المريض وحلقه . وسبب ذلك هو صعود بخار الاخلاط المجتمعة من الاعضاء الباطنة الى الرئة او الى قصبة الرئة .

العلامة الحادية عشرة : انه يعرض عسر النَّفَس . وسبب ذلك هو من صعود البخار الى الرئة والحجاب الحاجز فيُضغط صدر العليل والاعضاء الداخلة في صدره .

العلامة الثانية عشرة : انه يعرض احياناً وجع الصدر والظَّهر . وسبب ذلك ان بخار الاخلاط المجتمعة يصعد الى صدره ومن لذع البخار وتمدّده يحدث الوجع .

العلامة الثالثة عشرة : يعرض للمريض هَذَيان وهيام في عقله . وسبب ذلك انه يصعد ريح حارّ من جانب الطحال الى الدماغ ، ولسبب امتلاء الدماغ يتشتّت الروح النفساني فيعرض الدماغ هيام وحيرة الى حين ما يتحلّل عنه ذلك البخار فيزول التشتّت عن العليل .

العلامة الرابعة عشرة : يظهر للمريض وجع في الشبكة بهذا المقدار حتى ان بعض المرضى يظنّ ان قحف رأسه يُقلع منه ، وبعضهم يعرض له ظلمة البصر ، وبعضهم السدد والدوار والخوف والغم والغضب والغصّة وخيالات متنوعة ليس لها وجود في الخارج . وسبب ظهور هذه الاعراض كلها هو من البخار اليابس الصاعد من المراق .

العلامة الخامسة عشرة : ان لسان المريض يثقل ولا يقدر على التكلّم . وسبب ذلك هو من صعود البخار اليابس الى اعصاب اللسان .

العلامة السادسة عشرة : يعرض طنين في الآذان لصعود البخار اليابس اليها .

العلامة السابعة عشرة : ان المريض لا يقدر ان يحرك يديه ورجليه الا بعسر لسبب صعود البخار الى اعصاب اليدين والرجلين . وعندما يتحلل البخار يقدر على الحركة .

العلامة الثامنة عشرة : يظهر وجع في اليدين والرجلين . وسبب ذلك هو من غلظ الابخرة الصاعدة اليها ، او من مائية الدم الواصل الى ذلك المحل ، فعندما يتحلل يزول الوجع . وقد يقع الحوَر في اليدين والرجلين والسبب واحد .

العلامة التاسعة عشرة : يعرض للمريض سهرٌ ، واذا رقد فيرى في النوم أحلاماً رديئة مخيفة . وسبب ذلك هو ان البخار الصاعد الى الدماغ لكونه حارًّا يابساً فيشوّش الروح النفسانية ويجفف الدماغ فيورث السهر . وبعض المرضى اذا تناول طعاماً في الليل فالبخار يرطب دماغه وينام وبعد الهضم يعرض له السهر ايضاً .

العلامة العشرون : ان بعض المرضى ايضاً لا ينام من نصف الليل الى ثلاث او اربع ساعات ، وبعد ذلك ينام قليلاً . وبعضهم لا ينام بعد نصف الليل أصلاً . وسبب ذلك هو ان الكيموس في كلّ وقتٍ بعد الهضم حين يتقدم ويأتي الى نفس الطحال فتتحرك الاخلاط الفاسدة والسوداوية المتجمعة اولاً في اطراف الطحال . وبسبب هذه الحركة تصعد الى الدماغ أبخرة حارّة ويابسة فتُورث السهر . فان كان يتمدُّ البخار فلا ينام المريض أصلاً ، واما ان تحلل فينام مرتاحاً .

والحاصل ان نوم المريض وسهره تبع لتحلُّل البخار وعدم تحلله .

العلامة الحادية والعشرون : ان القارورة تكون متنوعة الاشكال ، وهو انها تكون تارة رقيقة وتارة غليظة ، وتارة كدرة وتارة صافية ، وتارة كمدة وتارة حمراء . وتارة يكون فيها رسوب وتارة لا يكون . والرسوب تارة يكون كالدرديّ وتارة كالرمل . وسبب رقتها هو انه حيث يصير سدَّة في مجرى البول فيستنع مجرى نفوذ الغليظ . واما الرقيق فيمرّ وينفذ ، وان لم يكن مجرى البول مفسراً بزيادة فيأتي البول غليظاً وكدراً ومحمراً نوعاً . وبعض المرضى يكون بوله حارًّا لكونه مختلطاً بالصفراء المحترقة فيأتي مجدّة ، يعني انه يخرج من القضيب محرقة . واحياناً يكون البول كريه الرائحة . وأما البول

الذي يأتي غليظاً فيكون كدرًا فاذا بقيَ في القارورة فيرقد رسوبه في أسفله كالرمل . وحكماء الافرنج تعبّر عن هذا الرسوب بالطرطير . وهذه الرواسب تكون مائلةً الى الحمرة وأحياناً تكون كبيدة واحياناً تلصق في أطراف القارورة. والحاصل ان لون الرسوب هو تابع لما يندفع من الاخلاط المحترقة .

- واعلم ايضا انه — كما تقدم ووعدنا - اننا نوضح بيان الفرق الفاصل بين الرسوب الآتية في علل الكُلى والرسوب الآتية بسبب علة المراقيا ليستفيد بعلم ذلك طَلَبة هذه الصناعة ويكونوا على بصيرة من ذلك . فان الرسوب الحاصلة من حرارة الكُلى بالحقيقة انها لم تكن رسوباً ، انما تكون رملاً صلباً ، وان مُرِسَتْ بالاصبع فلا تتفتّت .

واما الرسوب الآتية في المراقيا فانها تُشبه الرَّمل لكنها ليست برمل ، واذا مُرِسَتْ بالاصبع تتفتّت وتنحلُّ .

واما كيفية تولُّد الرسوب الواقعة في هذه العلة ، قال سترطوس الحكيم : هو عَكِرَ الاخلاط التي في الكبد والعروق الكبيرة المحترقة من افراط الحرارة، فان القوَّة الدافعة تدفع ذلك العَكِر الى الكُلى فتخالط البول وتخرج معه .

تنبيه : اعلم ان الاسباب والعلامات المذكورة التي بهذه العلّة لا يلزم ان تجتمع كلها في مريض واحد ، وانما اذا وُجد بعضها فيه فذلك كافٍ للاستدلال، لان قلّة الاعراض وكثرتها تكون بحسب آفة الاعضاء الباطنة واستعداد المريض والاعضاء المتألّة واختلافها . فان كانت الآفة قويّة فتظهر علائم كثيرة ، وان كانت ضعيفة فتظهر قليلة .

فقد علمنا اذًا يقيناً ان الذي يُبتلى بهذه العلّة لا يقتضي ان يكون تحت مراقه نفخ او صلابة او وجع او ورَم في كلّ وقت .

(لها صلة)